قصص القرآن



قِصَّةُ بلْعَامَ الذى كَفَرَ

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
إشراف: أ. حمدى مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٨٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٦٨٢٧٠٠٤

هذه قِصَّةٌ من القَصَصِ القُرآنيّ ..

لكنها قصَّةٌ من أعْجَبِ العَجَبِ ..

إنّها قِصَّةُ إنْسَانٍ آتاهُ اللَّهُ (تعالى) آياته ..

إنْسانٌ فَضَّلَهُ اللَّهُ (تعالى) بعِلْمِه ، وأسْبَغَ عليْه نعْمَةَ الإيمانِ والْهِدايَةِ والتَّوْفيقِ ..

إنْسانٌ أعْطاهُ اللَّهُ تعالى الفُرْصَةَ كامِلَةً للإيمانِ والهُدى ، والارْتِفَاعِ عَنِ الانْحِطَاطِ في الكُفْرِ والانْغماسِ في الضَّلالِ ..

إنْسانٌ رَفَعَهُ اللَّهُ (تعالى) إلى قِمَّةِ القِمَمِ وذِرْوَةِ الذُّرى في الإيمَانِ والتُّقى ..

إنْسانٌ كانَ قُدْوَةً ومَثَلاً أعْلى لغَيْرِه ..

وبكُلِّ غباءٍ يتْرُكُ ذلكَ الإنْسانُ كُلَّ هذه النِّعَمِ وتلْكَ الفُرَصِ ، ويُعْرِضُ عنها .. يضْرِبُ بِها عرْضَ الْحائطِ في جَهْلٍ ..

وبكُلِّ جهْلٍ ينْسلِخُ ذلكَ الأحْمقُ من آياتِ اللَّهِ ، ويَخْلَعُ نفْسهُ من الإيمانِ ؛ ليَهْوِي في الكُفْرِ والإلْحادِ ..

يَتَعرّى من الدِّرْعِ الواقيةِ التي تسلَّحَ بِها .. يَتَخلّى عَنِ الحِمايَةِ والأمانِ باخْتِيارِه ومحْضِ إرادته ..

يَنْحَرِفُ عنِ الهُدى ليَتَّبِعَ الْهَوى ..

يُطْفِئُ مِصْبَاحَ الهِدَايَةِ ؛ لِيَخْرُجَ مِنَ النُّورِ ويَتَخَبَّطَ فى ظُلُمَاتِ الضَّلالِ ..

قِصَّةُ إِنْسَانٍ شَقِىٍّ هَوَى من أُفُقِ النُّجُومِ المُضِيئَةِ ؛ لِيَسْقُطَ عَلَى الأَرْضِ ، ويَغُوصَ فى الطِّينِ والوَحْلِ ..

قِصَّةُ إِنْسَانٍ تَخَلَّى عَنْ حِمَايَةِ القَوِىِّ الجَبَّارِ وهُدَاهُ ؛ فَسَقَطَ فى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ من الضَّلالِ ، وسَارَ على هَوَاهُ ..

هَذِهِ قِصَّةُ بَائِسٍ مَنْكُودٍ بَاعَ الآخِرَةَ بالدُّنْيَا بَاعَهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ حَقِيرٍ ، فَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِغَضَبِ الجَبَّارِ ، وصَارَ من أَهْلِ النَّارِ ..

إِنْسَانٌ أَصْبَحَ صَدِيقًا حَمِيمًا للشَّيْطَانِ ، فاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ «إِبْلِيسُ» وقَادَهُ على هَوَاهُ ..

وهُوَ فى النِّهَايَةِ مَخْلُوقٌ بَائِسٌ نَكِدٌ لاصِقٌ خَطْمُهُ «أَنْفُهُ» بالأَرْضِ مُلَوَّثًا بالوَحْلِ والطِّينِ ، ذَلِيلاً خَانِعًا ..

ثُمَّ هُوَ فى النِّهَايَةِ مَسْخٌ فى هَيْئَةِ الكَلْبِ ، الذى يَلْهَثُ باسْتِمْرَارٍ ..

إِنْ طَارَدْتَهُ يَلْهَثُ ، وإِنْ تَرَكْتَهُ يَلْهَثُ .. إِنْ هَاجَمْتَهُ يَنْبَحُ ، وإِنْ تَرَكْتَهُ يَنْبَحُ ..

فَمَنْ هُوَ ذَلِكَ البَائِسُ النَّكِدُ المَغْضُوبُ عَلَيْهِ ، الكَافِرُ بَعْدَ

المُسْتَحقُّ لعناته فى كُلِّ زمانٍ ومكانٍ ..

إنَّهُ عِبرةٌ ومثلٌ يضربُ لكُلِّ مَن انحطَّت نفسُهُ ، وخارت عزيمتُهُ ، ولم يقدر نعمة الهداية والإيمان حقَّ قدرها ، فهوى إلى أسفلِ سافلين فى الدُّنيا ، وهوى فى جحيم الآخرة ..

إنَّهُ «بلْعَامُ» .. «بلْعَامُ بنُ باعُوراء» ..

فمَنْ يكُونُ «بلعام بن باعُوراء» ؟!

قَالُوا إنَّ بلْعَام بن باعوراء كَانَ حبرًا من أحبارِ بنى إسْرائيل فى زمن النَّبِىِّ «مُوسى» عليه السلام ..

وإنَّهُ قدْ تلقَّى العلْم .. علْمَ التوْراة على يدى نبىِّ اللَّه «مُوسَى» عليه السلام ، وإنَّ «مُوسى» عليه السلام هُو الذى ربَّاهُ وعلَّمهُ ، حتى صارَ من أعْلَمِ عُلماءِ بنى إسْرائيل ..

وقدْ بلغَ «بلْعَام» من العلْمِ درجةً لمْ يبلُغها إلاَّ الأنْبياءُ والصِّدِّيقُون ..

ومنْ غزارة علمه ومعْرفته وتقْواهُ ، كانَ الآلافُ يتلقَّوْن عنْهُ العلْمَ فى مجلسٍ واحدٍ ، ويكْتُبُون كُلَّ ما يسْمعُونهُ منه ..

وقَالُوا إنَّهُ كانَ فى مجلسه اثْنتا عشْرةَ ألْف محبرةٍ للمُتعلِّمين الذين يتلقَّوْن ويكْتُبُون عنْهُ ..

وقالوا إنَّه بلغ درجةً من الهُدى والتُّقى والنُّور والإيمان أنَّه كانَ إذا نظر رأى عرش الرَّحمن من فوق سبع سماوات ، وهو قابعٌ في مكانه على الأرض ..

وقد قالَ اللَّهُ تعالى عنهُ في قُرآنه الكريم : ﴿ واتْلُ عليهم نبأ الَّذي آتيناهُ آياتنا ﴾

فقد آتاهُ اللَّهُ (تعالى) آيات كثيرات ، وليست آيةً واحدةً ، وهذا من نعم اللَّه (تعالى) الكثيرة عليه ..

ومن آيات اللَّه (تعالى) على «بلْعام» أنَّهُ كانَ طاهرًا مُجاب الدَّعْوة .. وكانَ يعرفُ اسم اللَّه (تعالى) الأعظم ، الذي إذا دُعي به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى ..

ثُمَّ ضلَّ «بلْعام» بعد هُدى .. وكفر بعد إيمان ..

أضلَّهُ اللَّهُ (تعالى) بعد علمٍ ، وأعمى بصيرته بعد نورٍ ، فكانَ «بلْعام» أول إنسانٍ على وجه الأرض يؤلِّفُ كتابًا ينطق بالكُفر من أول سطرٍ إلى آخر حرف .. كتابًا يزعُم فيه أنَّ الكون ليس لهُ إلهٌ ، وأنَّ العالم ليس لهُ صانعٌ ..

نعوذُ باللَّه من كلمة الكُفر وأقوال الكافرين ..

ولكنْ كيف كانت قصَّةُ كُفر «بلْعام» وإلحاده ؟!

قِيلَ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ «مُوسَى» عليه السلام قَدْ أَرْسَلَ «بَلْعَامَ» إِلَى أَهْلِ «مَدْيَنَ» لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِيمَانِ ، وَتَوْحِيدِ الوَاحِدِ الأَحَدِ ..

فَلَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِمْ «بَلْعَامُ» بِرِسَالَةِ «مُوسَى» عليه السلام ، أَغْرَوْهُ بِالمَالِ وَالهَدَايَا الكَثِيرَةِ وَعَرَضِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ ، وَقَالُوا لَهُ :

ـ اتْرُكْ دَعْوَةَ «مُوسَى» وَلَا تَرْجِعْ إِلَيْهِ ، وَنَحْنُ نُقَدِّمُ لَكَ كُلَّ هَذِهِ الهَدَايَا وَالأَمْوَالِ ؛ فَتَعِيشَ بَيْنَنَا غَنِيًّا كَوَاحِدٍ مِنَّا ، بَلْ رَئِيسًا عَلَيْنَا ..

وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَلِكُ مَدْيَنَ الكَافِرُ أَنْ يُزَوِّجَهُ بِأَجْمَلِ النِّسَاءِ مِنْ بَنَاتِ قَوْمِهِ ، وَيُقَدِّمَ لَهُ الكَثِيرَ مِنَ الهَدَايَا وَالأَمْوَالِ ، فِي مُقَابِلِ أَنْ يَتْرُكَ دِينَ الحَقِّ وَيَهْجُرَ دَعْوَةَ مُوسَى ، وَيَتَخَلَّى عَنْ دِينِهِ ؛ لِيَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ فِي كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ ..

كَانَ هَذَا أَوَّلَ اخْتِبَارٍ حَقِيقِيٍّ يَتَعَرَّضُ لَهُ «بَلْعَامُ» وَأَوَّلَ فِتْنَةٍ وَابْتِلَاءٍ لَهُ .. وَهِيَ فِتْنَةٌ وَابْتِلَاءٌ عَظِيمَانِ .. وَهَلْ هُنَاكَ ابْتِلَاءٌ أَعْظَمُ مِنِ ابْتِلَاءِ الرَّجُلِ فِي دِينِهِ ؟! وَهَلْ هُنَاكَ فِتْنَةٌ أَشَدُّ مِنْ فِتْنَتِهِ فِي إِيمَانِهِ ؟! فَمَاذَا فَعَلَ «بَلْعَامُ» وَكَيْفَ تَصَرَّفَ مَعَهُمْ فِيمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ ؟! وَمَاذَا كَانَ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ المُؤْمِنُ قَوِيُّ الإِيمَانِ ، وَالحَبْرُ العَلَّامَةُ ، كَمَا رَأَيْنَا ؟!

لَمَّا عَرَضَ أَهْلُ «مَدْيَنَ» وَمَلِكُهَا مَا عَرَضُوهُ عَلَى «بَلْعَام» قَالَ لَهُمْ :

ـ أَعْطُونِي مُهْلَةً حَتَّى أُفَكِّرَ وَأُقَدِّرَ وَأُدَبِّرَ أَمْرِي ، ثُمَّ أَرُدَّ عَلَيْكُمْ ، فَإِمَّا رَجَعْتُ إِلَى «مُوسَى» وَإِمَّا قَبِلْتُ عَرْضَكُمْ وَعِشْتُ بَيْنَكُمْ ..

وَتَرَكَهُمْ «بَلْعَام» ثُمَّ رَكِبَ حِمَارَتَهُ ، وَسَارَ بِهَا ؛ لِيَخْتَلِيَ بِنَفْسِهِ وَيُفَكِّرَ فِي أَمْرِهِ ، وَفِيمَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ الْقَوْمُ .. وَلَمَّا اخْتَلَى بِنَفْسِهِ رَاحَ يُحَدِّثُهَا قَائِلاً :

ـ اللَّهُ أَمِ الشَّيْطَانُ ؟!

«مُوسَى» أَمِ الْمَالُ ؟!

الآخِرَةُ أَمِ الدُّنْيَا ؟!

وَهَكَذَا رَاحَ «بَلْعَام» يُفَكِّرُ وَيُقَدِّرُ وَيُدَبِّرُ .. وَلَمْ يَسْتَغْرِقْ مِنْهُ الأَمْرُ طَوِيلاً ..

فَقَدْ أَرْشَدَهُ هَوَاهُ الْخَسِيسُ وَنَفْسُهُ الدَّنِيَّةُ الْحَقِيرَةُ إِلَى اخْتِيَارِ الشَّيْطَانِ ، وَتَفْضِيلِ الْمَالِ عَلَى الدِّينِ ، وَالدُّنْيَا الْفَانِيَةِ عَلَى الآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ .. لَقَدْ فَضَّلَ الرِّيَاسَةَ وَالشَّرَفَ الزَّائِلَ ، وَحُبَّ الْمَالِ عَلَى دِينِهِ ، فَقَالَ فِي جَشَعٍ :

ـ بَلِ الشيْطَانَ والمَالَ والدُّنيا ..

فَلَمَّا كفر «بلْعَامُ» وقَالَ ذَلكَ ، قَادَ حمَارتَهُ عائدًا إلى القَوْمِ ، تَراءَى لَهُ الشيْطَانُ على مكَانٍ مُرتَفعٍ عنْدَ قَنْطَرَة ، سَعيدًا بِمَا فَعَلَ .. فَلمَّا رأَت الْحمَارةُ الشَيْطَانَ نَفَرتْ منْهُ ، وسَجَدتْ للَّه (تَعَالى) ، بيْنَما سَجَدَ الكَافرُ «بلْعَامُ» لشَيْطَانه اللَّعينِ ..

وهَكَذَا كَفر «بلْعَام» بَعْدَ إيمَانٍ ..

وضَلَّ بَعْدَ علْمٍ ..

آثَرَ الْهَوى على الْهُدى ..

غَاصَ فى الطِّينِ والْوَحْلِ وضَلَّ بَعْدَ أَنْ حَلَّقَ بأَجْنحَةٍ من نُورٍ مَعَ الْمَلائكَة ، ورأَى الْملَكُوتَ الأعْلى بنُورِ بَصيرته ، وهُو قَابعٌ فى محْرَابِهِ على الأَرْضِ ..سَقَطَ «بلْعَامُ» وهَوى بَعْدَ أَنْ ضَلَّ وغَوى ..

أَذَلَّهُ اللَّهُ (تَعَالى) بَعْدَ عزٍّ ، وسَخطَ عَلَيْه بَعْدَ رِضًا ، وأَوضَعَهُ بعد رِفْعَةٍ .. انْسَلَخَ من دينهِ كَمَا تَنْسَلِخُ الحَيَّةُ وتَخْرجُ من جلْدِهَا ..

اتَّخَذَ «بلْعَامُ» هواهُ إلَهًا يَعْبُدُهُ من دُونِ اللَّهِ ، بَعْدَ أَنِ اخْتَارَ الدُّنْيَا وأَطَاعَ الشَّيْطَانَ ..

وبكفره صار «بلعام» من الهالكين الحائرين ، الذين عملوا بخلاف علمهم الذى علموه ..

وبعمله الخسيس الوضيع هذا صار «بلعام» أضل من حليفه الشيطان .. فبعد أن كان هو تابعا للشيطان ومتلقيا عنه ، صار الشيطان تابعا له .. وصار هو قائدا للشيطان ..

وقالوا إن «بلعام بن باعوراء» كان رجلا صالحا مستجاب الدعوة ، وكان عالما لقومه من الكنعانيين ، أهل «فلسطين» وأصحابها الأصليين .. وكان قومه يحبونه ، ويتبركون به ، ويستمعون إلى نصحه ..

ولما سار نبي الله «موسى» عليه السلام بقومه تجاه أرض الكنعانيين ، ونزلوا قريبا منها ليأخذوها هرع الكنعانيون ، إلى «بلعام بن باعوراء» مستنجدين به ، وقالوا له متوسلين :

ـ لقد جاء «موسى بن عمران» فى قومه من بنى إسرائيل ، ليخرجونا من بلادنا ويقتلونا ويأسرونا ، ثم يأخذوا بلادنا وأرضنا وديارنا ، ونحن قومك وليس لنا مقام غير بلادنا ، فإن ضاعت شردنا فى الأرض وضعنا ..

فقال لهم «بلعام» :

ـ ومَاذا أنَا فَاعِلٌ لكُمْ ؟! ماذَا أُغنِى عَنْكُمْ وأنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ؟!

فَقَالُوا لَهُ :

ـ أنت رجلٌ مُجَابُ الدَّعْوة .. فاخرج وادْعُ اللَّه على «مُوسَى» وقَوْمِهِ حتى ينصرنا عليهم ..

صَاحَ «بلعام» فِى قَوْمِه مُستنكرا :

ـ وَيْلَكُمْ .. ويلكُمْ .. هَذا نَبِىُّ اللَّه ومَعَهُ الْمَلائِكَةُ والْمُؤمِنُونَ ، كَيْفَ أذْهَبُ وأدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، وأنَا أعْلَمُ مِنَ اللَّه (تعالى) مالا تعلمُونَ؟! إنَّكُمْ بذلِكَ تلقُونَ بى إلى التَّهلُكَة والتعرضِ لغَضَبِ الْجبَّارِ ..

ولَمْ يزلْ قومُ «بلعام» يحرضونه ويتوسَّلُونَ إليْه أنْ يدعُو على «مُوسَى» وقومه ، حتى فتنوه عن دينه ، فأطَاعَهُمْ وسَارَ مُتوجِّهًا إلى جبلٍ يُسمَّى «حسيان» وهو الْجبلُ الذى كانَ «مُوسَى» وجيشُهُ يعسكرُونَ تحتهُ ..

ثُمَّ اعتلَى الجَبَلَ ، وأطَلَّ على عَسْكَرِ «مُوسَى» وراحَ يدْعُو عليْهِمْ ، فصَارَ كُلَّمَا دَعَا على «مُوسَى» وقوْمه بشَرٍّ أوْ هزيمَة

صَرَفَ اللَّهُ (تعالى) لسانَهُ، فينقلبُ الدُّعاءُ على الكَنْعَانيين، فيَدعو عليهم بالشرِّ والهزيمة ..

وكُلَّما حاولَ «بلْعام» أنْ يدْعو لقومِه بالخيرِ والنَّصرِ، صَرَفَ اللَّهُ (تعالى) لسانَهُ إلى «موسى» وقومِه من بنى إسْرائيلَ فيدْعو لهم بالخيرِ والنَّصرِ ..

* * *

ولَمَّا رأى الكَنْعَانيونَ وسمعُوا ذلك من «بلْعام» تعجَّبوا، وقَالُوا له :

ـ يا «بلْعامُ» أتدرى ما تقولُ وما أنتَ صانعٌ بنا ؟!

إنَّكَ تدعُو لهم بالخيرِ والنَّصرِ، وتدعُو علينا بالهزيمة والشَّرِّ !

فقَالَ «بلْعامُ» :

ـ أعْرِفُ لكنَّنى لا أملِكُ غيرَ ذلكَ .. إنَّ ذلكَ يحدثُ بغيرِ إرادتى وعلى الرَّغمِ منِّى .. إنَّ اللَّهَ هو الذى يصْرِفُ لِسانى هكذا عن طَلَبِ النَّصرِ لكُم، وطَلَبِ الهزيمةِ لنبيِّه «موسى» عليه السلام .. لقد قلتُ لكم ذلكَ من قبلُ ولكنَّكم لم تصدِّقونى ..

فتعجَّبَ قومُ «بلْعام» وقالُوا له فى غضبٍ :

ـ مَا هَذَا الذى تَقُولُ وتَزْعُمُ يا «بلْعامُ» هل تظُنُّ أَنَنَا يُمكِن أَنْ نُصَدِّقَ مِثلَ هَذِهِ الخُرَافَاتِ ؟! قُلْ كَلامًا مَعْقُولاً حَتَّى نُصدِّقَهُ يا رجُل ..

فَقَالَ «بلْعَامُ» صَادِقًا ومُتحسِّرًا :

ـ لَقَدْ ضَاعَتْ مِنِّى الآخِرةُ بِهذَا الصَّنِيعِ الذى أَغْضَبَ اللَّهَ عَلَىَّ ، لأَنَّنى عَادَيْتُ رَسُولَهُ ودعوْتُ عليْهِ ، مع عِلْمِى الغَزِيرِ الذى أَعْطَانيهِ.

فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ :

ـ ومَا العَمَلُ ؟! هَلْ نَتْرُكُ «مُوسَى» وقَوْمَهُ يَأْخُذُونَ أَرْضَنَا ودِيارَنَا وأَموالَنَا ، ويَحْتَلُّون بِلادَنَا ؟!

قَالَ «بلعَامُ» :

ـ لَمْ يبْقَ إلا المَكْرَ والحِيلَةَ .. سأَحْتَالُ وأَمْكُرُ لَكُمْ ..

فَقَالُوا لَهُ :

ـ ولِمَاذا تَحْتَالُ وتَمْكُرُ لَنا ؟!

فَقَالَ «بلْعَامُ» :

ـ حَتَّى تَتَمَكَّنُوا مِنْ هَزِيمَةِ بَنى إِسْرَائيلَ ..

فَقَالُوا لَهُ :

وكَيْفَ تَحْتَالُ وتَمْكُرُ لَنَا ؟!

فَقَالَ «بلْعَامُ» :

ـ إِذَا ارْتَكَبَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْـمَعَاصِي خَذَلَهُمُ اللَّهُ ونَصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ سَأَبْذُلُ كُلَّ مَا فِي وُسْعِي ، حَتَى يَتَسَلَّلَ بَعْضُنَا إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ ، ويُزَيِّنَ لَهُمُ ارْتِكَابَ الْـمَعَاصِي ..

ولَمْ يَزَلْ «بلْعَامُ بنُ باعُوراءَ» يُخَطِّطُ ويُدَبِّرُ ، حَتَّى وَقَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْـمَعَاصِي ، وارْتَكَبُوا الفَوَاحِشَ ، فانْتَشَرَ بَيْنَهُمُ الطَّاعُونُ ، ومَاتَ مِنْهُمُ الكَثِيرُونَ ..

* * *

وأَيًّا كَانَ « بلْعَامُ بنُ باعُوراءَ » فإِنَّ مَا يُهِمُّنَا هُوَ أَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) قَدْ آتَاهُ آيَاتِهِ ، فَانْسَلَخَ مِنْهَا ، وارْتَدَّ إِلَى الكُفْرِ والإِلْحَادِ ، بَعْدَ الهِدَايَةِ والإِيمَانِ ..

ولَوْ شَاءَ اللَّهُ (تَعَالَى) لَرَفَعَ ذَلِكَ الـ «بلْعَام» الكَافِرَ الْـمُرْتَدَّ بَعْدَ الإِيمَانِ ولَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَشَأْ لَهُ الرِّفْعَةَ والعُلُوَّ ، لِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ حَقَارَتِهِ ودَنَاءَتِهِ وسَعْيِهِ وَرَاءَ حُطَامِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ ،

والْخُلُودِ إلى الأَرْضِ ، والرُّكُونِ لَها بَعْدَ أنْ كَادَ يلْمسُ الثُّرَيَّا بعلْمه وإيمانه ..

لَقَدْ شَبَّهَ اللَّهُ (تعالى) «بلْعَام» في دَنَاءته وحقَارته بالكَلْبِ فِي أَخَسِّ وأَحْقَرِ حَالاته ، ولَيْسَ في أَمَانته ويقْظَته وحراسته ، وحُبِّه لسَيِّده وتفانيه في خدْمته ، وفدائه لَهُ بنَفْسه ، وإنَّما شَبَّهَهُ بالكَلْبِ في تعبه ولَهْثه وشقَاوته ..

فالكَلْبُ دائمًا وفي كُلِّ الحالات يلْهَثُ .. وفي كُلِّ حَالاته يُخْرِجُ لسانَهُ ويتنفَّسُ بصُعُوبةٍ ، سواءً قسوْتَ علَيْه وزجرْتَهُ ، أَمْ أَرَحْتَهُ وعطفْتَ عليه ..

و«بلعام بْنُ باعوراء» هُو مثَلٌ لِكُلِّ من آتاهُ اللَّهُ (تعالى) آياته وعلَّمه العلْمَ النَّافعَ ، فترَكَ العمل به ، واتَّبعَ هواهُ ، وآثَرَ سَخَطَ اللَّه (تَعالى) على رِضَاهُ ، ودُنْياهُ على أُخْرَاهُ ؛ ولذَلك شَبَّهَهُ بالكَلْبِ ..

ولَكنْ لِمَاذا شَبَّهَهُ بالكَلْبِ ، دُونَ غَيْرِه من الكَائنات ؟!

لأَنَّ الكَلْبَ من أَخَسِّ الْمَخْلُوقَاتِ ، وأَوْضَعِ الْحيوَانَات قَدْرًا ، وأَشَدُّهَا شَرَهًا وحِرْصًا ، فَهِمَّتُهُ لا تتعدَّى بطْنَهُ ..

وتشبيه كُلَّ من آثر الحياة الدنيا على رضا الله والحياة الآخرة بالكلب اللاهث باستمرار يدل على مدى جشع وشدة لهث ذلك الكافر المنسلخ من آيات الله على الدنيا ، وهو لُهاثٌ مستمر لا ينقطع على المتاع الزائل ، يُشبه لُهاث الكلب المستمر .. فكل من كذب بآيات الله ، أو انسلخ منها بعد علمه بها كلبٌ ضالٌّ لاهثٌ باستمرار .. إن وعظته فهو ضالٌّ ، وإن تركته فهو ضالٌّ .. إن طردته يلهث ، وإن تركته يلهث ..

وذلك المثل الخسيس هو نفسه مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، وكذبوا رسوله برغم علمهم بصدقها وصدق رسول الله ﷺ .. وهؤلاء القوم هم اليهود الذين حرفوا وبدلوا التوراة ، حتى يخفوا صفة رسول الله ﷺ المذكورة عندهم في التوراة ..

ولهذا طلب الله (تعالى) من رسوله ﷺ أن يقصص القصص ، أي يتلو على يهود المدينة الآيات التي تتحدث عن ذكر ذلك المنسلخ عن دينه وعن آيات الله ؛ لأن حديثه المذكور

في القرآن الكريم مثل حديث هؤلاء اليهود المكذبين ، لعلهم ينقادون إلى الحق ، ويقبلون على الصواب ..

وقد ذكرت قصة «بلعام بن باعوراء» في سورة الأعراف ..

قال (تعالى) :

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا
فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا
لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ
كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ
يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ
ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴾

[سورة الأعراف ١٧٥ : ١٧٧]

(تمت)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٢ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى : ٤ - ٩٦٨ - ٢٦٦ - ٩٧٧